Vollers 1066 - 02

Bl. 52r:
Šar Srat al-Ab
Bl. 73v:
Srat al-mukarrib al-wazr al-mubrak



52

بسم الله الرووف الرحيم وبه نستعين
نبتدي بعون الله تعالي وحسن توفيقه
بشرح سيرت الابح وهو شرحا جليلا
اتفق ان كان في ايام بعض الخلفا الذي تولوا
علي مصر واعما لها انسان قبطي من اولاد
الابح وهذا المذكور كان كاتب سر الخليفه بمصر
وكان عزيز عنده وبلغ من جاه هذه النصراني
عند هذا الخليفه الي ان تحكمه علي كورة مصر
وما كان فوق يده بين الايد الخليفه وكان
هذا النصراني رحوم اديب متواضع قريب من الناس
يقضي حوايجهم وكان يخدم الكبير والصغير ويسلك
مع الاسلام الادب والخدمه ويكفي نظره عن
حريمهم ولا يشتم احدا فلا يشوه ولا يخاصم
ولا يتعاون علي احدا من الاسلام وكان يطلع



على الفواحش ولا يهتك احداً ويبطر بعينه ويستر
بذيله ومن كان من الاسلام في ضيم ازال ضيمه
ومن كان في جور خلصه منه وما كان له شغل
الا يعمل الاحسان مع كل الناس فحبوه الاسلام
الخاص منهم والعام والجيد منهم والردي
والاكبر منهم والوضيع وكانوا يشكروا منه عند
الخليفه وجاهه بطلع ويتمرو بزين ولا يسمع فيه
كلام ماسد وان في بعض الايام في جمعة الصلبوت
المعظمه والفصح المجيد توجهوا نساه وعايلته
الى بعض الكنايس فتعرضوا لهم صغار المسلمين
وجهالهم وصاروا يشتموهم ويرجموهم لانهم تحققوا
انهم من نسا بعض النصارى لان المراه النصرانيه
تبان من المسلمه فلا يبرحوا يرفوهم ويشتموهم
ويشنعوا عليهم ويرشوهم بالتراب الى ان وصلوا
الى الكنيسه



53

الي الكنيسه فلما فرغ العيد ورجعوا الي منزلهم
قالت الست لزوجها جميع ما جري عليهم في الطريق
من اوباش المسلمين وحلفت انها ما بقيت تروح
الكنيسه فقال لها زوجها طيبي قلبك لابد ما اجتمع
بالخليفه واخذ منه امر في عمارة كنيسه تجديد بيني
فقالت له هذه قط لا يكون ان كنيسه تعمر في ايام
الاسلام فقال لها سوف يكون ما يريده الله وان
زوجته قالت له ان وفق الله ان تاخذ الامر بعمارة
كنيسه تكون علي اسم القديسه المختاره بربارة ويكون
جسدها فيها فقال لها طيبي قلبك واشرحي صدرك
وقري عينك لابد ان اجتهد علي اجتهادي
وابذل اموالي وجاهي في عمارة كنيسه فقالت له
الله تعالي يتمم كلمتك ويبلغك مقصودك ويكون
عليك القلوب وانه منع لك اليوم بنجي بخروم الناس



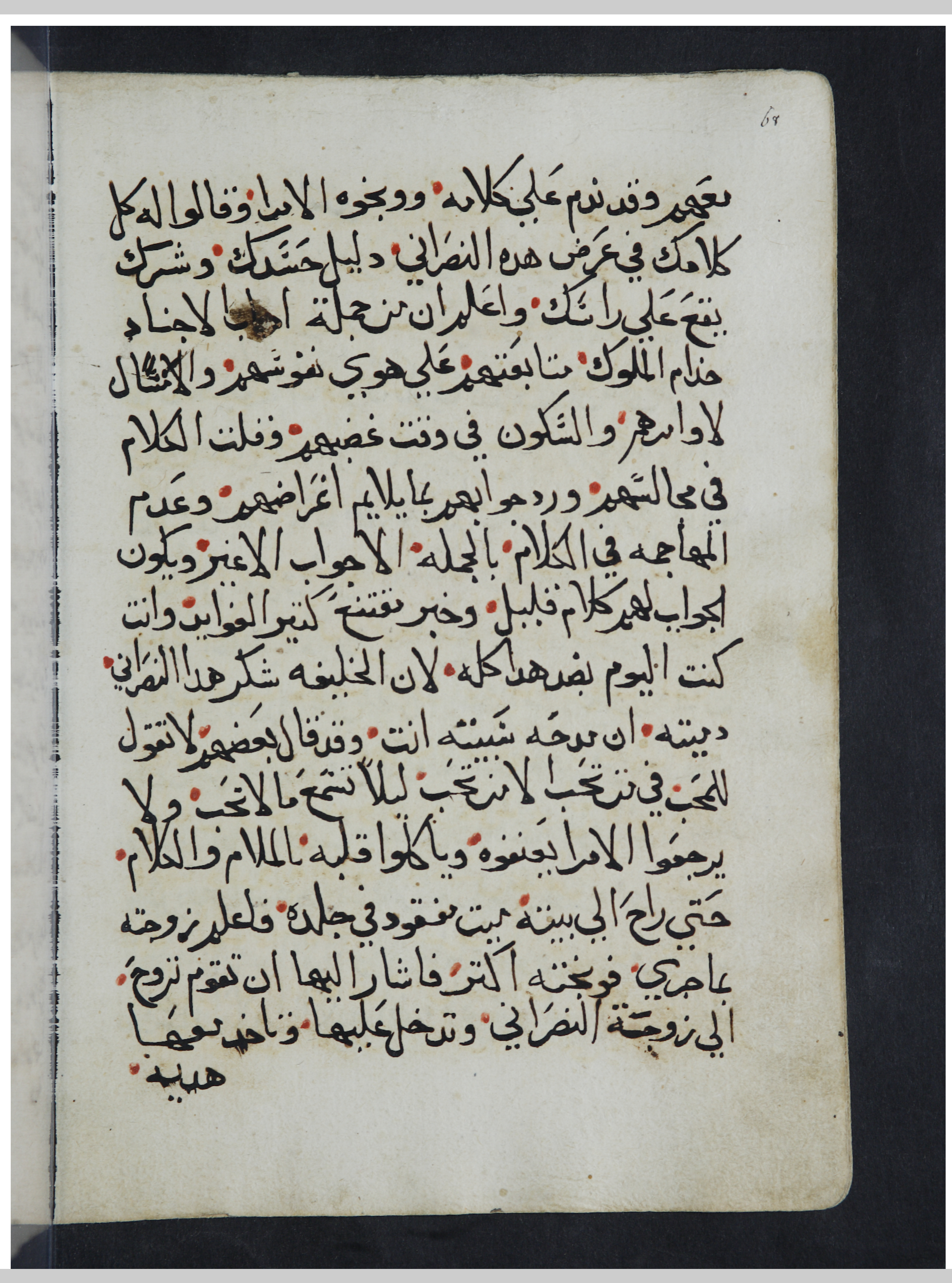
69

بالاكثر ويكسبهم ويقضي حوايجهم ولا سيما القضاه
والحكام والشهود الذين هم مستحلونة الاسلام واشارهم
والجمله انه اخذ بقلوبهم واشتملوا عليه ومالت نفوسهم
اليه واكرموه غاية الاكرام وبقوا يتمنوا له قضي حاجه
وكان ينظر يوم فيه دقيقه مباركه وساعه سعيده
موافقه وكان حكيم النفس يعرف العلوم كلها وفي
يوم من الايام طلع الي خدمة الخليفه رآه مشروح
ظاحك طيب العيش فخدم مثل العاده وعطا المملكه
حقها من الخدمه الواجبه وفي ذلك اليوم وفقه
الله في كل حركاته قدام الخليفه اكثر من كل الايام
فالتفت الخليفه للامرا الحاضرين المحتشمين والنوا
والحجاب وقال لهم والله ان هذا النصراني هو حركة
دولتي وبتدبيره ما كان ينتظم للمملكه حال فتكلموا
علي قدر هواهم لان كان فيهم من يحسده وفيهم من
يفهم



54

فيهم من قال ما تنتقد الدنيا لاحد وفيهم من تكلم
موافقه لهوا الخليفه ونشكر وقال دونشر فيهم من يخاف
الله واوهم الخليفه منه وقال يا مولانا ما احسن هذا النصراني
فقال الخليفه انا اريده يكون نصراني يخاف على عرضه
ويخشا على دينه ولا يتجري يقع في مكروه فقال
الحاسد يا مولانا صحيح الذي تقول ولا ارد لقولك
وانما كل العداوه يرجا لها صلح ومحبه ومودّه الا
عداوة المذهب لا يرجا لها صلح والله ما يقدر هذه
النصراني العدو على نصرة الاسلام ويخليها قال
فاغتاض الخليفه من ذلك الحاسد وحمي مزاجه
واشتاط بالغضب واحتد في نفسه على ذلك الانسان
ولم يبين له غضبه لكن اخفا ما في نفسه واظهر
الابتسام والفرح والنشاط ولوقته قام من المجلس
واشار الامرا بالانصراف وتوجهوا وذلك الحاسد



معهم وقد ندم على كلامه ووبخوه الاسيا وقالوا له كل
كلامك في عرض هذه النصاني دليل حسدك وشرك
بنفع على راسك واعلم ان من جملة ادا[ب] الاجناد
خدام الملوك متابعتهم على هوى نفوسهم والامتثال
لاوامرهم والسكوت في وقت غضبهم وقلة الكلام
في مجالسهم ورد جوابهم بالملايم اغراضهم وعدم
المهاجمه في الكلام بالجمله الاجواب الاعنز ويكون
الجواب لهم كلام قليل وخير نفتتح كثير الفوايد وانت
كنت اليوم بضد هذا كله لان الخليفه شكر هذا النصراني
دينه ان يوجه شيئه انت وقد قال بعضهم لا تقول
للمحب في من تحب لا من تحب لئلا تسمع ما لا تحب ولا
يرجعوا الامر بعنوه وياكلوا قلبه بالملام والكلام
حتى راح الى بيته مبت مفقود في جلده فلعلم زوجته
بما جرى فوبخته اكثر فاشار اليها ان تقوم تروح
الى زوجة النصراني وتدخل عليها وتاخذ معها
هديه



55

هديه اليها • وتعرفها الكلام كله • الذي جرى
في مجلس الخليفه • وقولي لها هذا اخطا وهو يقول
استغفر الله • فقامت ونهضت الى زوجة النصراني ومعها
هديه سنيه • وهي خلعه ثمينه من ملابسها ولما دخلت
الى عند زوجة النصراني • قامت اليها ورحبت بها
واكرمتها • واجلستها في ارفع مكان • وعظمت مقدارها •
الى غاية ما يكون • لانها امرأة امير على كل حال من
خيار اولاد الناس ومن اكابر الاسلام • ولما جلست
وكانت طيبت الحديث • كثيرة الهزل • شرعت ان
تباسط زوجة النصراني وتصلحها • واحكت لها
حكايات توافق النسوان • واخذت بجامع قلبها بحلاوة
كلامها • وعذوبة لفظها • وحسن مخاطبتها • وبعد هذا
كله • قالت لها زوجة النصراني يا ستي لعل حاجه
عنا خرجه • والله لقد جليتي منظري اليوم • وشرفتيني •
بنقل خطواتك العزيزه • فقالت لها اعلمي يا حرة النصارى •



ان اللسان عدو الانسان • وقال اللسان للقفا •
كيف اصبحت اليوم • جاوبه القفا • والله ان سلمت منك
انا طيب • وباحرة النصارى اللسان عدو القفا • وما على
الانسان يضره الا لسانه • فقالت لها زوجة الصعلوكي
يا ستي ايش يعني هذا الحديث • بيني لي امثل هذا وشبه
وباطنه وظاهره • فاعلمتها جوزة الامير بكل ما جرى
في مجلس الخلافه • وقالت لها قد اخطا وعثر بلسانه •
وتكلم في حق زوجك • قدام الخليفه بكل ردي • فاسالك
تسالي من قبلي يزيل ما في نفس الخليفه • ويتكلم بصفته
لانه كله خير • وسائر الناس شاكرين منه • بيعرف حقي
ودخولي منزله • ويرجع لطيبت اصله • ولا يحمل
حقد من الامير ويبعد هذا كله لا يعاننا الامرا • ويزرع
معهم الخير • يحصل بجميل • وخوفنا من تقلب الدول
وان كان هذا الخليفه يعزه ويكرمه ويحبه • يجي
غيره • يبغضه ويذله ويبرد له • وحذر به وخوفه •
واشتهى



56

واشتهي تقبلي مني هذا المقدار الحقير • وهو ما يصلح
لك • الاغلي سبيل الجبر والمحبه • لانهما هديه قليله
حقيره • وانها احرجب لها الخلوه • فدهشت لها الامراه •
وفرحت بها واخذتها منها • واوعدتها بكل خير • فهم
في الحديث • والوزير صاحب الدار قد حضر من عند الخليفه •
وهو فرحان مسرور مبتهج • منشرح بسوط النفس والامل •
وسبب فرحه ان الخليفه استدعا به طلبه اليه • بعد انصراف
الامرا من خدمته • وعرفه بجميع ما قاله • ذلك الامير
في حقه • وامره بعد هذا ان يحتاط علي كل مواله وضيعه
وبساتينه وحماماته • وفنادقه • وكل املاكه • ويناوله
خاتمه • وامره ان يختم عليهم • ويبيع الذي يجب بيعه ويحمل
كل الثمن لبيت المال • وما لا يجب بيعه يكتب في ديوان
بيت المال • واستدعا الخليفه بعد هذه ثلاثة امرا • وامرهم
ان يتسلموا ذلك الامير • ويقنعوه ويرموه في الاعتقال •



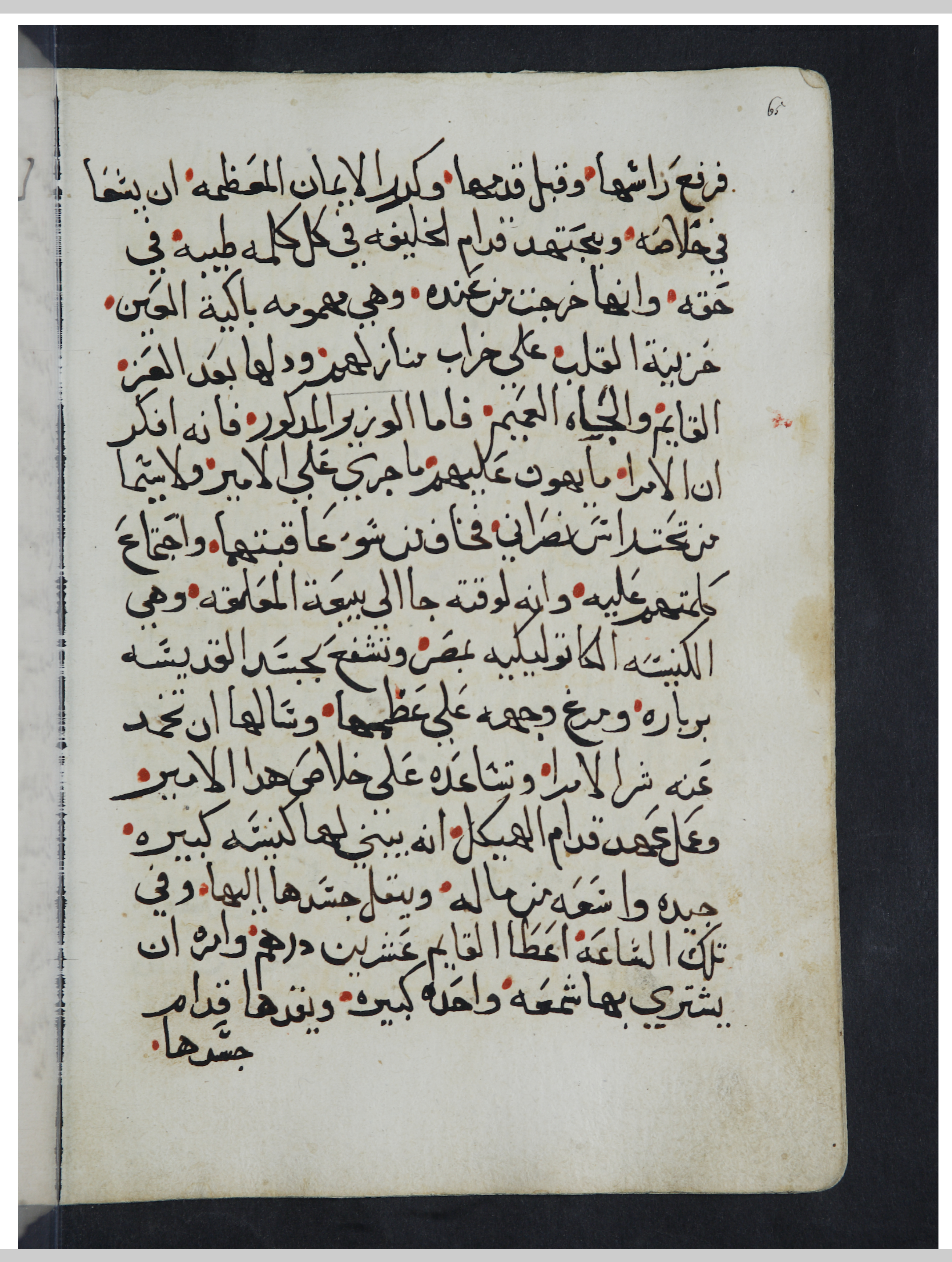
٥٦

فنزلوه في سرعه للوقت وهاجوه في منزله وقبضوا
عليه وشلشلوه وارموه في الاعتقال وان الوزير المذكور
اخذ خاتم الخليفه ونزل من عنده ولا قدر يرد في فمه
وخاف من سخطه وكان بقينه انه يتحيل بكل حيله
ويخلص الامير في وقت غير هذا لانه راي الخليفه قد
بلغ الحد في الغيض والغضب فلو رد في فمه ضرب
عنقه ومدح على كل حال لعلوا رتبته عند الخليفه وكيف
انه فضله على اكابر الامرا ولما نزل الي منزله وجد زوجه
الامير المذكور في بيته فسال من زوجته عن الخبر
فاعلمته بكلما قالته امرات الامير وخوفته عن عاقبه
الامراه ونصحته وحذرته وقالت له في اخر كلامها
ان الامرا مابرحوا بعضهم البعض واخشي ان يصطلحوا
عليك فاعمل من الخير مجهودك وعرفته بحديث الخلعه
ولم تخفيه شي لانها كانت امراه مباركه خيره دينه تلتقه
لمنزلها مستيقظه لاحوالها واحوال عايلتها ولما سمع
زوجها



57

زوجها بخبر الخلعه • زجر زوجته • وشتمها • وقال
لها كيف اخرتيها نوبر ابري • عينيها اليها • في هذه
الساعه • وفي الوقت الحاضر جا الي عندها • وخذ معها •
ورحب بها • واكرمها غايت الاكرام • وعرفها ماجري
كله • وافهمها انما هو من ناحيته • الا ان كان عند الخليفه
ذنوب كثيره غيرها الذنب • وفي اخر كلامه طيب قلبها •
وحلف لها انه يبذل كل قدرته • في خلاصه • ويزيل من نفس
الخليفه من جهته • كل حقد • ورد اليها الخلعه • واعتذر
لها • وقال لها كنت اشتهي لو حضرتي الي منزلي • في يوم
غيرها • فان ما الايام كثيره • وسوف يبان لك الخير
الذي اعمله معه • وما يبطي حبسه الا ايام قليل • ويتخلص •
ويرد اليه كل املاكه • وما اخليه ينزل من قدام الخليفه •
الا بخلعه • ويكمد الله عيون الحساد • والمبغضين •
فطيبي قلبك • وخاطرك • واشرحي صدرك • فما يكون
الا الخير • وانها لوقتها ارمت على رجليه تقبلهما •



فرفع راسها • وقبل قدميها • وكرر الايمان المعظمه • ان يشفعا
في خلاصه • ويجتهد قدام الخليفه في كل كلمه طيبه • في
حقه • وانها خرجت من عنده • وهي مهمومه باكية العين •
حزينة القلب • على خراب منازلهم • وذلها بعد العز
القايم • والجاه العظيم • فاما الوزير المذكور • فانه انكر
ان الامرا • ما يهون عليهم • ما جري على الامير • ولاسيما
من تحت داش نصراني • فخافوا من سو عاقبتها • واجتماع
كلمتهم عليه • وانه لوقته جا الى بيعة المعلقه • وهي
الكنيسه الكاتوليكيه بمصر • وتشفع بجسد القديسه
بربارة • ومرغ وجهه على عظمها • وسالها ان تخمد
عنه شر الامرا • وتساعده على خلاص هذا الامير •
وعاهد قدام الهيكل • انه يبني لها كنيسه كبيره •
جيده واسعه من ماله • وينقل جسدها اليها • وفي
تلك الساعه • اعطا القايم عشرين درهم • وامره ان
يشتري بها شمعه • واحده كبيره • ويوقدها قدام
جسدها •



58

جسرها الى ان تفرغ وبادر مسرعا وجا الى اكبر
الامرا ومشيرهم ومعظمهم وكبيرهم ومقدمهم وساله
ان يطيب قلب الخليفه على هذا الابن فقال له ~~يا نصر~~
والله يا نصراني انت من اولاد الحلال وفيك مروه وخيره
وفتوه وجوده لانك تكافي الشر بالخير وهو انكون الناشى
فصفع بين يديه وقال يا مولانا انا عبدكم وخادمكم ولما
سخط الخليفه اعزه الله تعالى على الابن ورسم لي
برسومه واعطاني خاتمه وامرني بامره وهو في
غضبه وقوه انزعاده وانزعاجه وسخطه وسوطه
فلو رديت عليه في فمه في تلك الساعه الرديه قطع
رقبتي فقال له الامير احذر يا نصراني من سخط الخليفه
وبهار الغدا عمل امره واحتاط على كل اموال هذا الرجل
ولا تتهاون في الامور تروح روحك ومالك وتسبا
عيالك ويتفسد كل نظامك وانا انصحك فقال



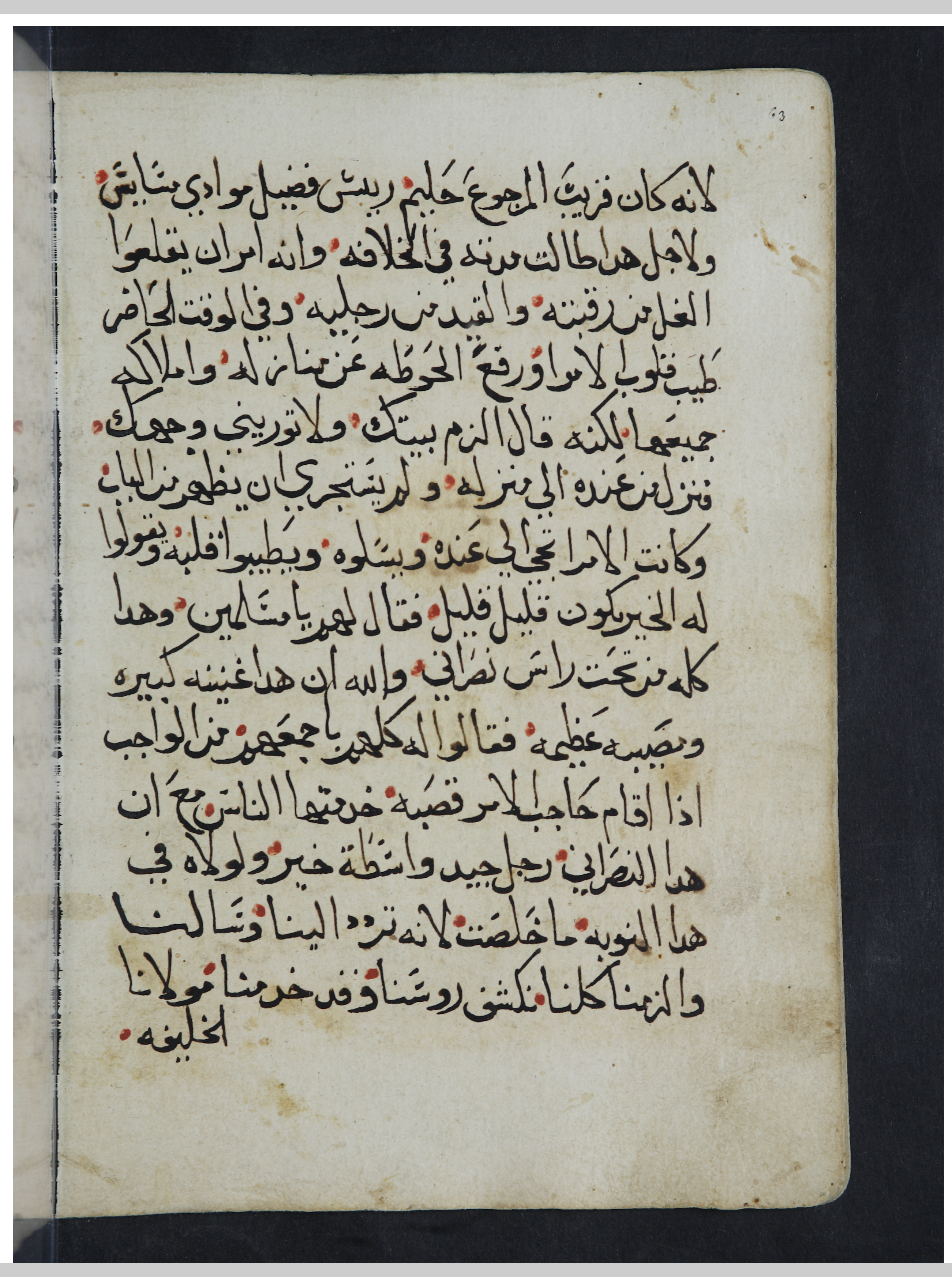
64

يامولانا • ومابقي امره جبله • ولا لعلته طبيب فقال له الامير
اعمل الامر • وبعد يومين • نتخلصوا هذا الرجل وانا اجتمع
بكل الامرا • ونتحدث في حربته وتخلصه • وما يجري الا
كل خير والسلامه • روح يانصراني • وطيب قلبك • ولما كان
الصباح اختم النصراني على كل اموال الامير • واملاكه
وابياته • ولا باع له شي بقيراط • ولا فرط في شي • وهو
منتظر الامور والفرج • وما كان له همه الا كل يوم يسال
الله • والقديسه بربارة • كي تسكن هذا النوبه وتهديها
وبقي ملازم ابواب الامرا • والا تضرع لهم حتى يطيبوا
قلب الخليفه • وبعد هذا استدعا الخليفه • بالنصراني
الوزير • وقال له ايش عملت مع هذا الفاعل الصانع •
الكلب المخامر • قال يامولانا كل امواله واملاكه
تحت الختم • وفي تلك الساعه قامت الامرا جميعهم •
وكشفوا روسهم • وحفوا • وسالوا الخليفه فيه • فلما
راي



59

راي الخليفه ان الامرا جميعهم كلهم واحد وعصبه
في السوال الترم بدار التهم لكنه لزم ناموس
المملكه وقال غطوا روسكم يا امرا واجلسوا فغطوا
روسهم وجلسوا وان الخليفه في تلك الساعه
امر باحضار الامير المذكور من الاعتقال فحضر وهو
في غاية الذل والاهانه تغلغل في رقبته تقييد
ملتف وقد راي نفسه في الهوان الوان فلما اوقفوه
قدام الخليفه بذلك الحال الردي قال له الخليفه
ويلك يا كلب ابصر حالك بهذا الذل احق بك يا خبيث
يا ديوث ومن هو انت حتى تنازعني وترد في فمي
وتضاد كلامي واشكر انا ترم انت فقال يا مولانا
العفو عنا يعفي الله عنك قد اخطيت وزل لساني
فاعفوا عني واصفح عن هذه الغلطه وانا اقول
استغفر الله استغفر الله قال فسكن غضب الخليفه



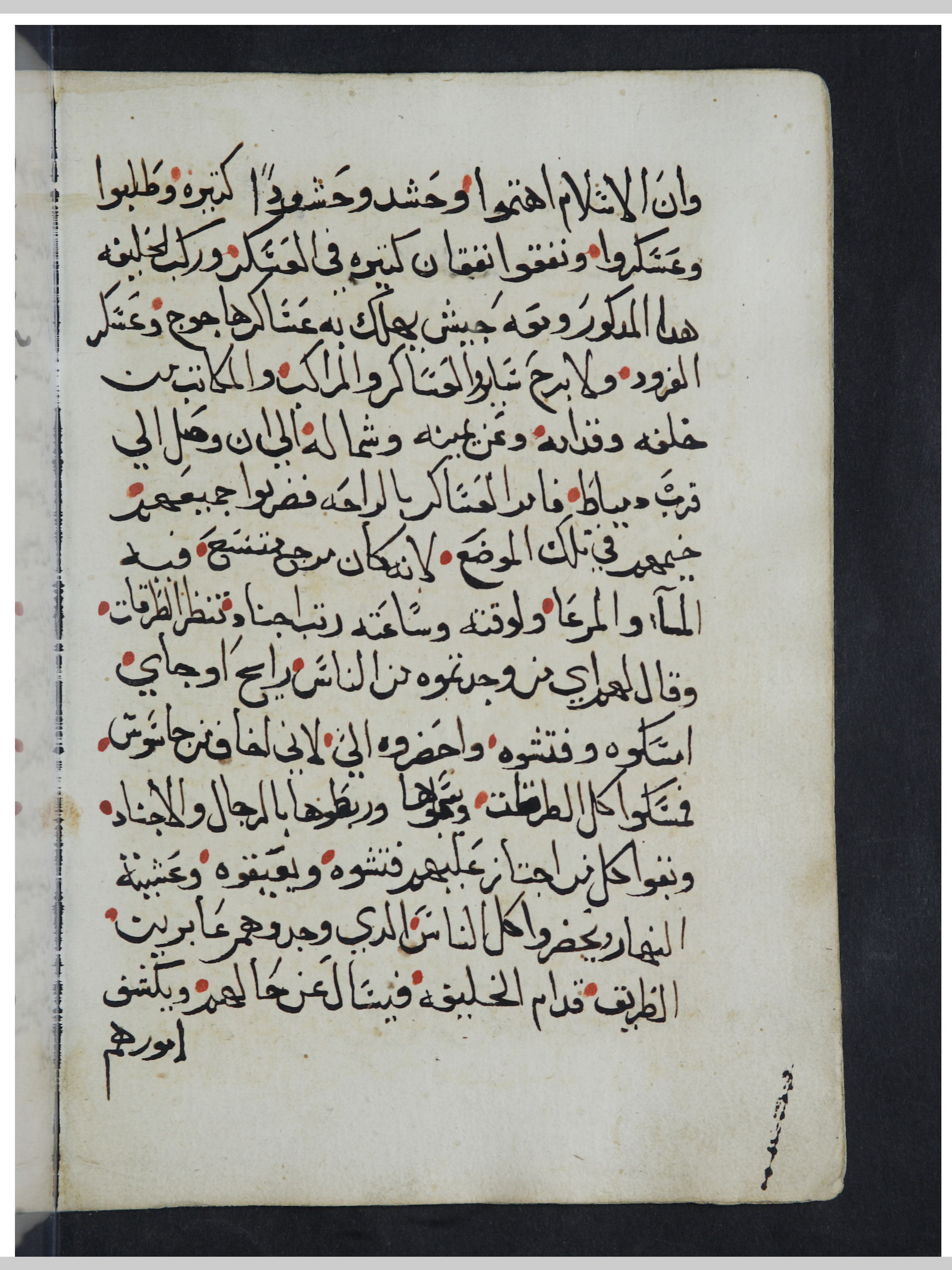
63

لانه كان قريب المرجوع حليم رييس فضيل موادي بشايش
ولاجل هذا طالت مدته في الخلافه وانه امران يقلعوا
الغل من رقبته والقيد من رجليه وفي الوقت الحاضر
طيب قلوب الامرا ورفع الحوطه عن مسانه له واملاكه
جميعها لكنه قال الزم بيتك ولا توريني وجهك
فنزل من عنده الي منزله ولم يستجري ان يظهر من الباب
وكانت الامرا تجي الي عنده ويسلوه ويطيبوا قلبه ويقولوا
له الخير يكون قليل قليل فقال لهم يا مسلمين وهذا
كله من تحت راس نصراني والله ان هذا غبنه كبيره
ومصيبه عظيمه فقالوا له كلهم باجمعهم من الواجب
اذا اقام حاجب للامر قصبه خدمتها الناس مع ان
هذا النصراني رجل جيد واسطة خير ولولاه في
هذا النوبه ما خلصت لانه ترده الينا وتسالنا
والزمنا كلنا نكشف روسنا وقد خدمنا مولانا
الخليفه



60

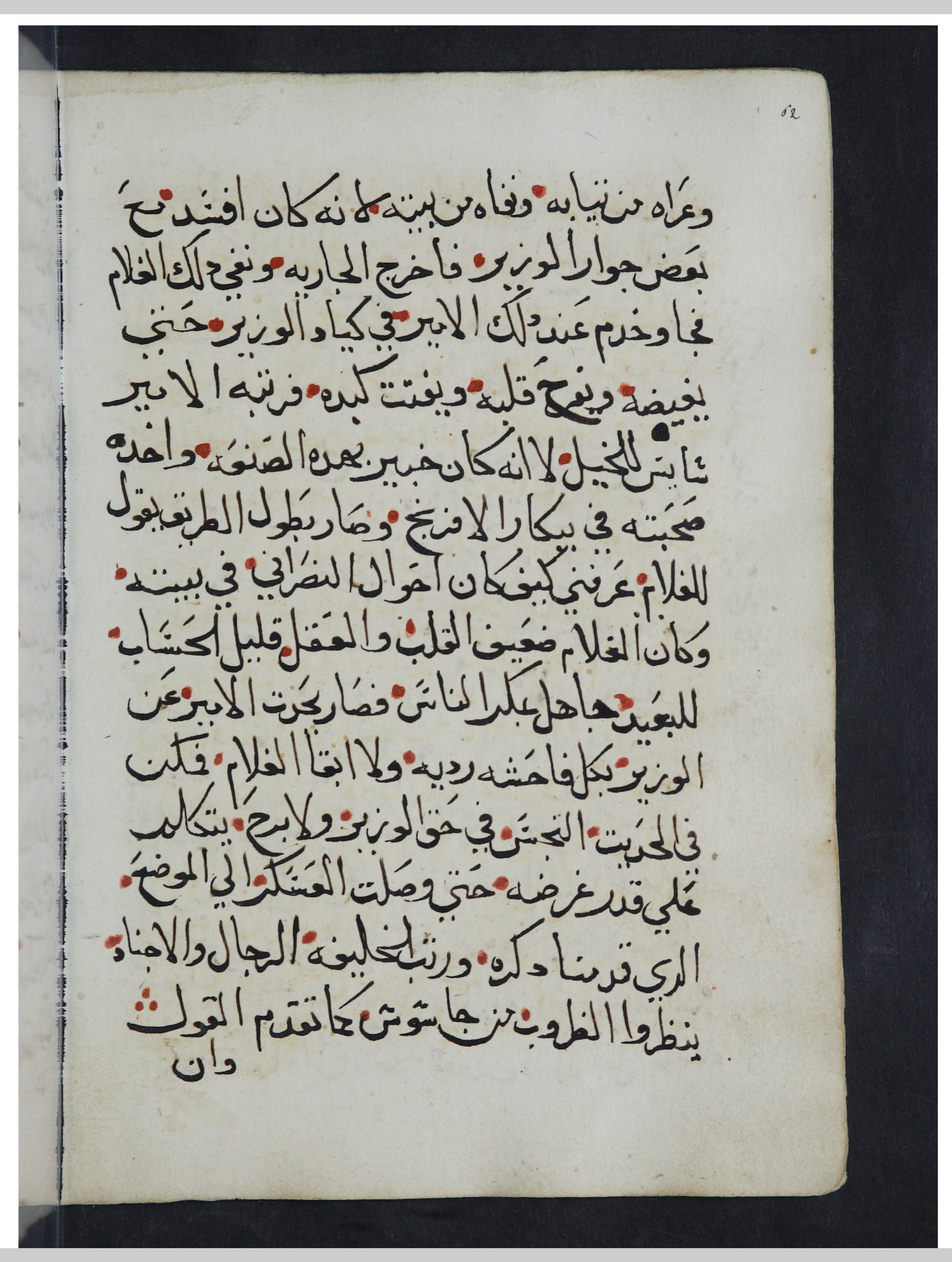
الخليفه • وشالنا ه قبل حتى خلصت • ومع هذا كله
وانت تنكر النصراني ولولاه تشوشت في هذا الدفعه • واعلم
ان لو تولى احدا من المسلمين • عوض هذه النصراني •
ما جري علينا خير • وهذا النصراني اخير لنا من المسلمين
لانه يحفظ نفسه • لعلمه انه ذمي دخيل ويخاف على ذمته •
والله ما فينا من يصير لهذا النصراني ضمير نجش • وانت
حسدك • وتعمل هذا كله • وحسدك يرجع عليك • واغتاظوا
عليه • وقاموا من عنده • وخلوه في ناره • وحلفوا ما يتوا
يجوا اليه • وكل هذه عنايه من الله تعالى • ومن التربيشه
بركه بهذا الوزير المبارك • وشمله الله من عنايته
الابد • وملكهم وشرهم • واجتمع الكل على محبته •
واثنوا عليه • ورفعوا منزلته • وصاروا ابدا يشكروا
منه • وبعد ذلك اتفق ان الافرنج نزلوا على دمياط •
في سنة اربع مايه خمسه وستون سنه من سنين
الاسلام • وملكوا دمياط وطوا بحيها ونواحيها •



وان الاسلام اهتموا وحشدوا حشودا كثيره وطلبوا
وعسكروا ونفقوا نفقات كثيره في العساكر وركب الخليفه
هذا المذكور ومعه جيش يهلك به عساكرها جوج وعسكر
المزود ولا برح سايرا العساكر والمراكب والمكاتب بين
خلفه وقدامه وعن يمينه وشماله الى ان وصل الى
قرب دمياط فامر العساكر بالراحه فضربوا جميعهم
خيمهم في تلك الموضع لانه كان مرج متسع وفيه
الماء والمرعا ولوقته وساعته رتب جندا تنظر الطرقات
وقال لهم اي من وجدتموه من الناس رايح او جاي
امسكوه وفتشوه واحضروه الي لاني اخاف من جاسوس
فمسكوا كل الطرقات وسدوها وربطوها بالرجال والاجناد
ونهبوا كل من اجتاز عليهم فتشوه ويعيقوه وعشيه
النهار يحضروا كل الناس الذي وجدوهم عابرين
الطريق قدام الخليفه فيسالهم عن حالهم ويكشف
امورهم


61

اورهم كشف شافيا • ويفتش تفتيش عظيم • وبعد ذلك
يعتقل الكبير في الحبوس • وبالجمله انه منع الواصل
الي دمياط في البر والبحر من توجهه الي دمياط بحنطه
او بتجر يحرقوها • ويشنقوا مدبرها ويحرقها • فاقاموا
هكذا في ذلك الموضع مده شهر واحد • والافرنج حوا
دمياط • والابواب مغلوقه • والمجانيقات قريبه • على
الاسوار • وهم مختبرين على المدينه من الاشلامت
والاتفاق • ان ذلك الامير الذي جلس من تحت
من داش الوزير الذي قد دنا ذكره كان الخليفه
قد طيب قلبه • واخلع عليه • وجاهزه للقا الافرنج •
فلما تحقق ان الخليفه قد رتب الاجناد • بنظر
الدروب والطرقات • وجد فرصه لهلاك الوزير
وقطع رقبته • وخراب منازله • وكان بالاتفاق
الردي لذلك الوزير المقدم ذكره غلام قد غضب
عليه • واتاه من منزله بعد ان قتله قتل الموت •

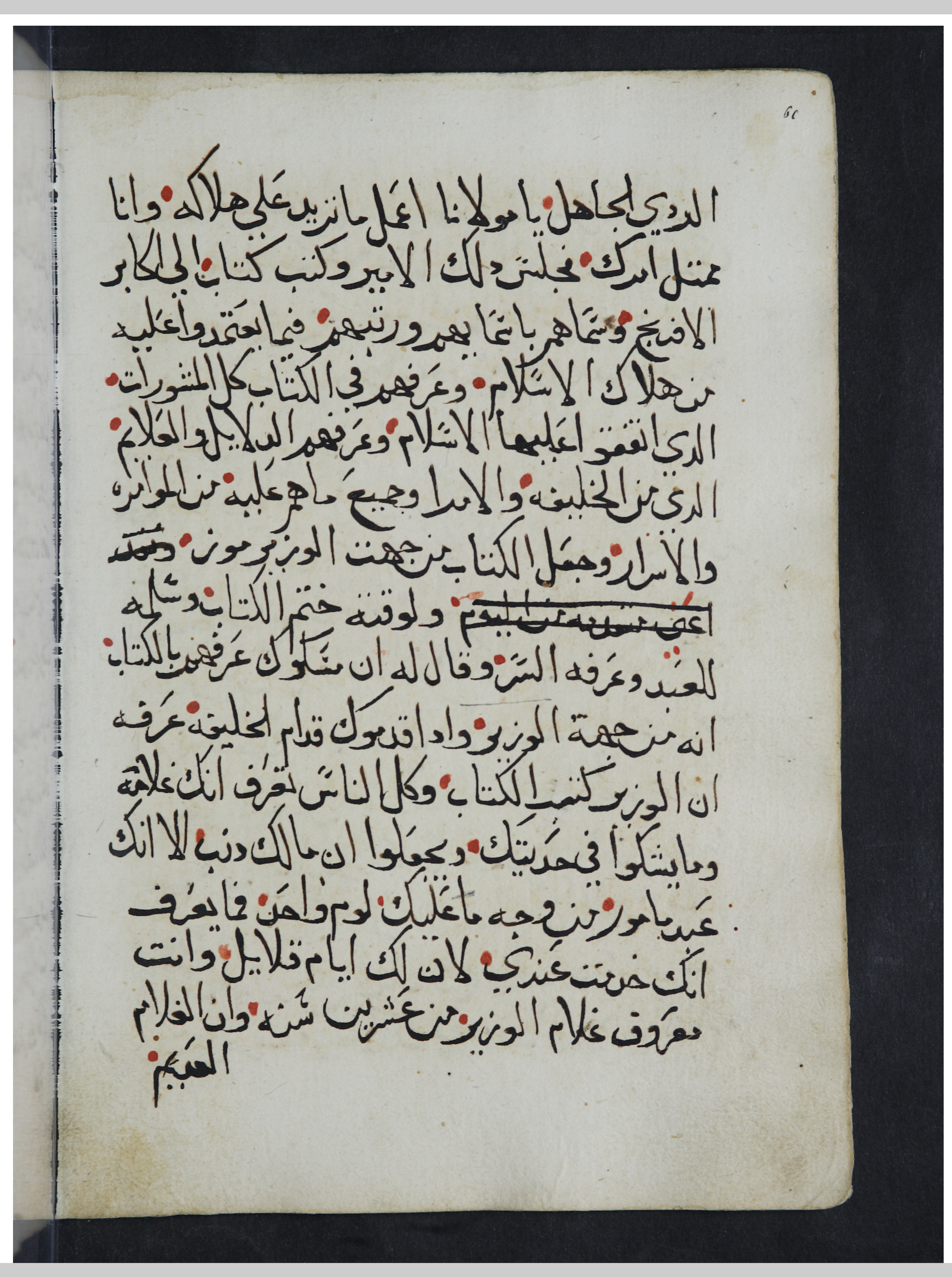


وعزاه من نيابه ونفاه من بيته لانه كان افسد مع
بعض جوار الوزير فاخرج الجاريه ونفي ذلك الغلام
فجا وخدم عند ذلك الامير في كياد الوزير حتى
يغيضه ويفرح قلبه ويفتت كبده فرتبه الامير
سايس للخيل لانه كان خبير بهذه الصنعه واخذه
صحبته في بيكار الافرنج وصار بطول الطريق يقول
للغلام عرفني كيف كان احوال النصراني في بيته
وكان الغلام ضعيف القلب والعقل قليل الحساب
للبعيد جاهل بكرا لناس فصار يحدث الامير عن
الوزير بكل فاحشه رديه ولا ابقا الغلام فمكن
في الحديث النجس في حق الوزير ولا برح يتكلم
على قدر غرضه حتى وصلت العساكر الى الموضع
الذي قد مر ذكره ورتب الخليفه الرجال والاجناد
ينظروا الطروق من جاسوس كما تقدم القول
وان



62

وان الامير استدعا بذلك الغلام في السر وقال له
تحبني او تحب النصراني • فقال يا مولانا • والله ما عندي
اليوم • ابغض من صورت ذلك النصراني • ولو اقدرت
على ذبحه ذبحته • وشربت دمه مع كوني نصراني • لانه
لاني نصحته وخدمته مدة ثمانية عشر سنه • وربيت
اولاده • ولما حصل مني زله في حبس مع جاريه ترمي
روحها للناس كلها • والكلاب صاروا معها • واحرار
بيته كانوا مني في امان • وكنت انظر بيته واربي مصلحته
واعبر على حريمه وبناته • ما كان يلزم عليه يحملني
في زله واحده • والانسان مركب في الخطايا • والذنوب
ومن هو في جنس ادم ما اخطا قط • والله لو قدرت
اليوم على ذهاب روحه • ما ابقيت عليه الى ساعه
واحده • فقال له الامير والله قد جا الامير على
غرضك • وقد انفتح لي باب نروح فيه روحه • واموال
ويبقى حريمه • واشمتك فيه • فقال له ذلك الغلام •

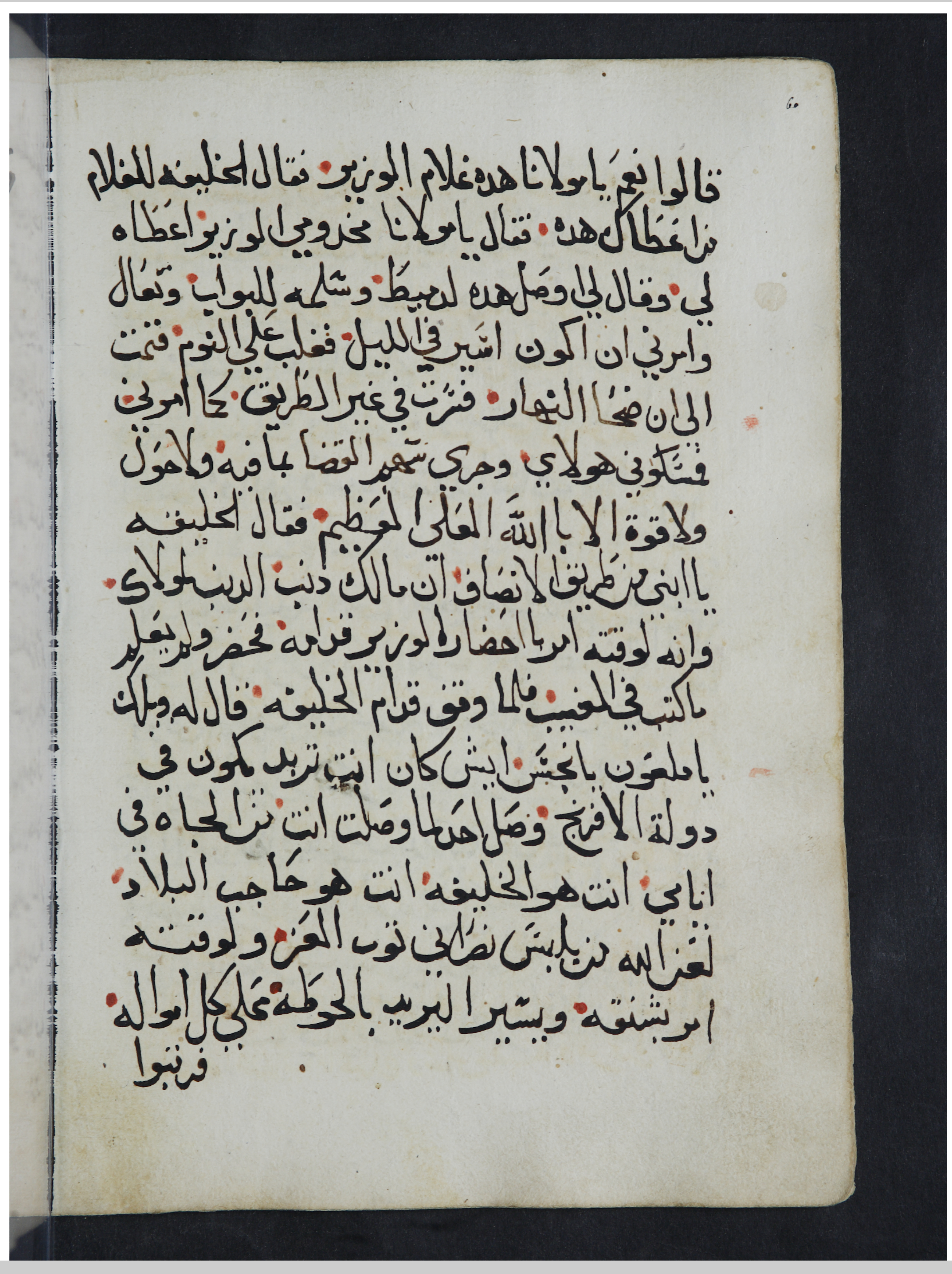


60

الدي لجاهل يا مولانا اعمل ما نزيد على هلاكه وانا
ممتثل امرك فجلس دلك الامير وكتب كتاب الى الكابر
الافنج وسماهم باسماهم ورتبهم فيما يعتمدوا عليه
من هلاك الاسلام وعرفهم في الكتاب كل المشورات
الدي اتفقوا عليها الاسلام وعرفهم الدلايل والعلام
الدي من الخليفه والامرا وجميع ما هم عليه من المواطره
والاسرار وجعل الكتاب من جهة الوزير مومون ومحمد
~~على سنته عن اليوم~~ ولوقته ختم الكتاب وسلمه
للعبد وعرفه السر وقال له ان مملوك عرفهم بالكتاب
انه من جهة الوزير واذا اقدموك قدام الخليفه عرفه
ان الوزير كتب الكتاب وكل الناس تعرف انك غلامه
وما يشكوا في حديثك ويجعلوا ان ما لك ذنب الا انك
عبد مامور من وجه ما عليك لوم واحد فما يعرف
انك خدمت عندي لان لك ايام قلايل وانت
معروف غلام الوزير من عشرين سنه وان الغلام
العبد



القديم العقل زين له الشيطان وجه المحال وتجرد
وشد وسطه واخذ الكتاب من الامير وتوجه الى
جهة دمياط وبرز عن الطريق والدرب حتى يبكوا
عليه ويمسكوه ولما اجتاز بالقرب من الاجناد تواثب
والوقت مسكوه وفتشوه فوجدوا معه الكتاب
المختوم وانهم وثقوه وشدوا اكتافه وما درى
بروحه الا قدام الخليفه وان الاجناد سلموا
الكتاب للخليفه مختوم ففضه وقراه فتغيرت
احواله وتمرمر وصار يصوت مثل السمكه في المقلا
ووقف له عرق بين عينيه ولم يملك من نفسه لا
قليل ولا كثير وهم كما يهم الاسد فخافت
كل الامرا وما فيهم من يدري ايش الخبر وتوهموا
في نفوسهم وان الخليفه رفع نظره للغلام وقال له
ويلك غلام من انت فقال يا مولانا غلام الوزير كاتب
السر فالتفت الى الامرا وقال لهم تعرفوا هذا الغلام



قالوا نعم يا مولانا هذه غلام الوزير. فقال الخليفه للغلام
من اعطاك هذه. فقال يا مولانا مخدومي الوزير اعطاه
لي. وقال لي وصل هذه للدبيط. وسلمه للبواب وتعال
وامرني ان اكون اسير في الليل. فغلب علي النوم فنمت
الى ان ضحا النهار. فسرت في غير الطريق كما امرني
فشكوني هولاي وجرى سهم القضا بما فيه. ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم. فقال الخليفه
يا ابني من طريق الانصاف ان ما لك ذنب الذنب لمولاي.
وانه لوقته امر باحضار الوزير فلما حضر ولم يعلم
ما كتب في الغيب فلما وقف قدام الخليفه. قال له ويلك
يا ملعون يا نجس ايش كان انت تريد تكون في
دولة الافرنج. وصل احدهما وصلت انت من الحاجه في
ابايي. انت هو الخليفه. انت هو حاجب البلاد.
لعن الله من يلبس نصالي ثوب العز. ولوقته
امر بشنقه. وبشير البريد بالحوطه على كل امواله.
فرنبوا



64

فرمنوا خشبته خارج عن الجيم وكتفوه وجعلوه تحت
الخشبه وان واحد من اكابر الامرا كان يحبه محبه
عظيمه قام ووقف قدام الخليفه وكشف راسه
وخرم وقال يا مولانا من قياس العقل انه قد عمل
عليه ابهل قليل واكشف وفتش بيان لمولانا
هديتي وايش هو هذا الملعون ان شنقت كلب
وقبل هذا وبعد هذا عنده اموال نسد الفضا وعين الشمس
والعساكر تحتاج في هذا الوقت للنفقه متى شنق
هذه النصراني ذهب امواله تحت الارض لحرصا وما يكون
لبيت المال فايده اذا شنق هذه النصراني والوجه الاخر
دفاتر حساب الديار المصريه عنده حرت وخراج على ظاهر
قلبه والله ان شنقه نظره على الاسلام من كل وجه
والمشوره عندي تاخذ كل امواله وذهبه وتشنقه
مثل الكلب يروح الى سقر الله ولعنته قال وان
الخليفه اهتدي ما عنده وسكن غضبه وقر قراره



57

واستصوب راي للابير وامر ان يسلموا النصراني للابير
فقدموه قدامه وانه لوقته قام سرعا ولكمه في فمه ارما
بعض اسنانه وبصق في وجهه ونتف لحيته وشتمه
وسبه وقال له احمل الاموال يا ملعون يا كلب اقسم
بالله تعالى وحيات راس مولانا الخليفه متى لم تحمل
الى ثلاثة ايام مائة الف درهم تتقوى بها على عسكر الاسلام
والا عذبتك بعذاب لم يكن مثله واطعمك من لحمك
ولا اشنقك لان شنقك شفاعه وتموت وان ما ابيتك
كل يوم الف مونه يا خمار يا مستحق كل ردي لعنة الله
عليك ولعنة اللاعنين والله لا كنت الا وجه نحس
على كل النصارى واذا انفرغ وجهنا هذا الكلاب
اذ رتبتك ايش اعمل في كل النصارى وكل هذا كان
الابير يعمله صورة قدام الناس حتى يصل الخبر للخليفه
وبعد ذلك رسم على النصراني عشره من شد الجند والزمه
يحمل مائة الف درهم الى ثلاثة ايام ولما خلا المكان
ودخل



65

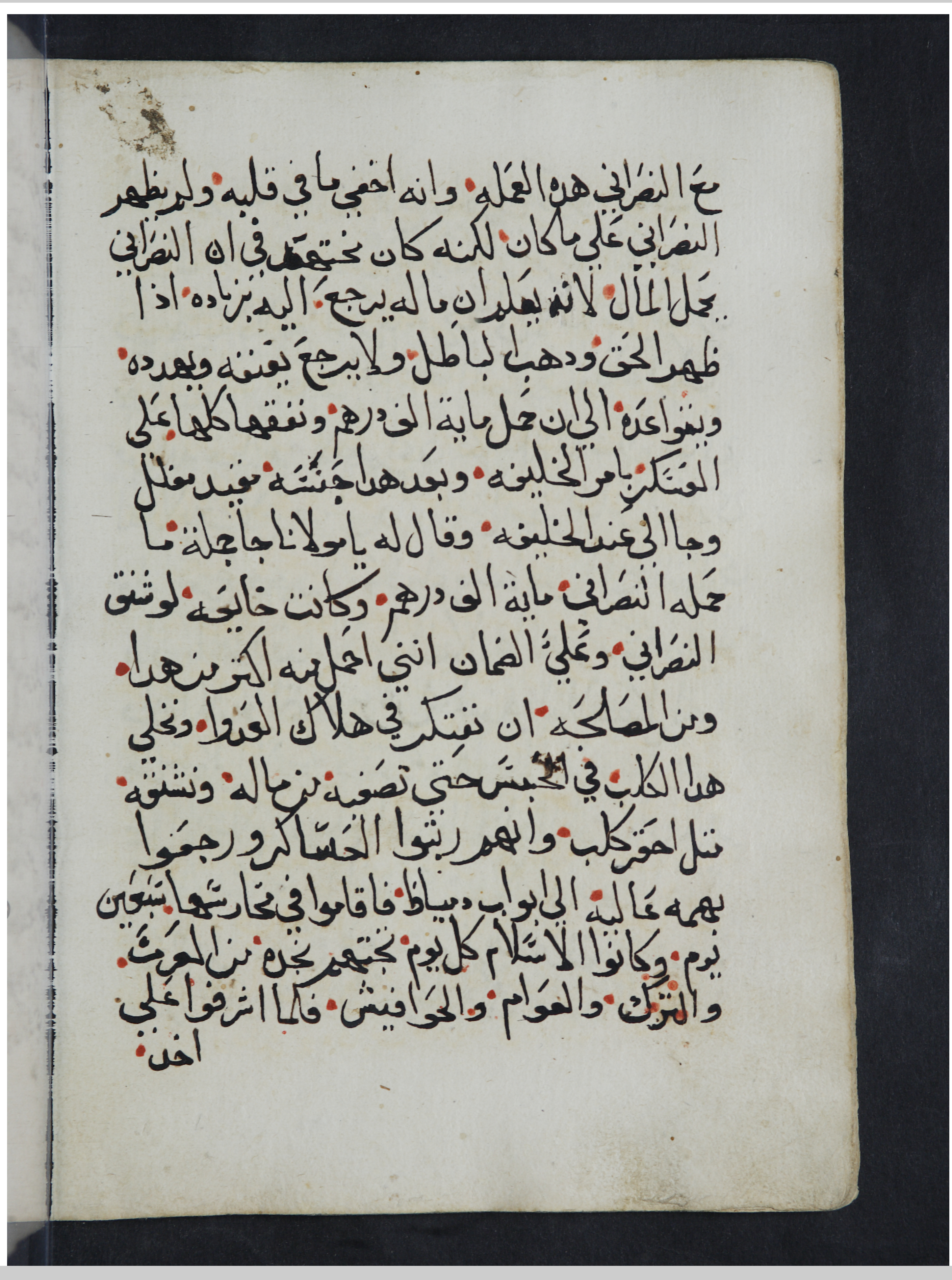
ودخل الخليفه يتبرج وكل الامرا في وقت شده الحر
طلب الامير النصراني في الخفيه وقال ويلك عرفني ايش
هذا الخبر النحس وبين لي لعله فاني رايت غلامك
في خدمة ذلك الامير الذي تكلم فيك قدام الخليفه
وجرى عليه ماجري في قلبه مثل النيران ونصحه
هو الذي عمل عليك ورتب هذا الكتاب وسلمه لغلامك
وعلمه جميع مايصنع فتنهد النصراني من صميم فواده
حتي قال الامير ان روح النصراني تفارقه وبعد ذلك
عرفه بما جرى على الغلام منه وكيف طرده من منزله
لانه استخدم بعض جواره وعرفه كيف زاح في
الكتمان وخدم مع ذلك الامير وان الامير عرف الباطن
والظاهر وانفتح له باب عظيم في خلاص النصراني من
هذه الشده وانه سلمه للاجناد واوصاهم بالاحتراز
عليه بعد ان اوصاه ان يتحمل على جيد حتي يسكن غضب



الخليفه به • ولم يصبح ذلك اليوم • حتى حمل عشرة
الاف درهم • فقال له الامير هين • حمل حقير • ويلك
اشتري روحك • يا ملعون • بعد عيشك • لا طلعت شمس
وان عشت لك رزق وفتوح اشتري روحك • وقوي
الاسلام • في هذه الوقت • وبالجمله انه الي ثلاثة ايام
حمل خمسين الف درهم • فاحضرها قدام الخليفه جميعها •
فقال للامير انفق في العسكر وقويه • والنصراني لا
تبقيه • بل اسلب نعمته • وبعد ذلك اشنقه • وانه خرج من
قدام الخليفه • ونفق في الاموال واعطا • لذلك الحاسد
الذي عمل هذه العمله مع النصراني خمسة الف درهم •
وحمل في وجهه • وشكر به • وقال له في اذنه هذا المال
من الله • ومنك • فضحك ووقع له بلسانه • وقال له
يا مولانا ايما احب ليك النصراني والا انا • فقال اعلم
ان شعره من مسلم احب الي من كل ملوك النصارى
ومن هذا الكلب حتى يكون عندي اخير منك • فوثق
اليه •


66

اليه وعرفه في اذنه جميع ماجرى وكيف رتب
الكتاب با امايرو ودلايل وعلايم يعرفها الخليفه
وفي نهاية كلامه انظر ماتجري على الاسلام من النصارى
مهما قبلت من النجس اعمله مع النصارى وما عليك
من الله خطيه لانهم اعدا لكل ملة الاسلام فقال
له الامير لاتوصيني والله انني ابغض لباس النصارى
واذا نفرغ وجهنا سوف اعرفك ايش اعمل مع النصارى
وان ماهو وقته لاجل البكار والمهم الذي نحن فيه
وان الامير كتم الخبر من الخليفه ليلا يحصل له
حرج على الامير وتتشوش قلوب الامرا ويتفرق
شمل الاسلام ويبلغ العدو المنا والظفر وكان الامير
عاقل رييس محب في النصارى ولاكان يبغض ابدا
احدا من الناس تريد مسلم تريد نصراني او يهودي
وقلبه كان قد امتلا حقد على ذلك الحاسد الذي عمل



مع النصراني هذه العمله وانه اخفى ما في قلبه ولم يظهر
النصراني على ما كان لكنه كان يختجج في ان النصراني
يحمل المال لانه يعلم ان ماله يرجع اليه بزياده اذا
ظهر الحق وذهب الباطل ولا يرجع يقتنه ويجرده
ويتواعده الى ان حمل مايه الف درهم وينفقها كلها على
العسكر بامر الخليفه وبعد هذا جبنته بقيد مغلل
وجا الى عند الخليفه وقال له يا مولانا اجاجلة ما
حمله النصراني مايه الف درهم وكانت خايفه لو تشنق
النصراني وعلي الضمان انني احمل منه اكثر من هذا
ومن المصلحه ان نفتكر في هلاك العدوا ونخلي
هذا الكلب في الحبس حتى تصفيه من ماله ونشنقه
مثل احقر كلب وانهم رتبوا العساكر ورجعوا
بهمه عاليه الى ابواب دمياط فاقاموا في محاربتها سبعين
يوم وكانوا الاسلام كل يوم يجتهم بجرح من العرب
والترك والعوام والحرافيش فلما اشرفوا على
اخذ



67

اخذ المدينة • بعد ان هلك منهم عالم كثير • واهلكوا
من الاسلام امم لا تعد • ولا تحصى • وان ما الكثرة •
تغلب الشجاعة • كثرت عليهم جيوش الاسلام •
ومن لا يخاف من الموت • وبعد فتحوا دمياط • وعبروا
اليها • فلم يجدوا من الافرنج من يخبر خبر • وطلبوا
اهلها • وكمنوهم ورفعوا عنهم الطلامان • ورتبوا
امر اينصلوا الابحر وعساكر كثيرة نزلوها • بين
البرجين • واثبتوا شغلهم خشية من الافرنج • ولما
عولوا على الرجعة • افتكر الخليفة وزيره • فرسم بشنقه
محضر الامير وسلم اليه فتوه • مكتوبه يستغيثه • فيها
في امر النصراني • وهو ايقول هكذا ما يقول مولانا
الخليفة اعزه الله تعالى • ونصره على اعداه • وبلغه مناه •
في رجل آدمي قد عمل عليه مثلما • وظلمه • وسعا في
هلاكه • وهلاك كل جنسه • وطايفته • واتقن
حيلته ومكره • ودقايق فكرته • في تلاف الدمي



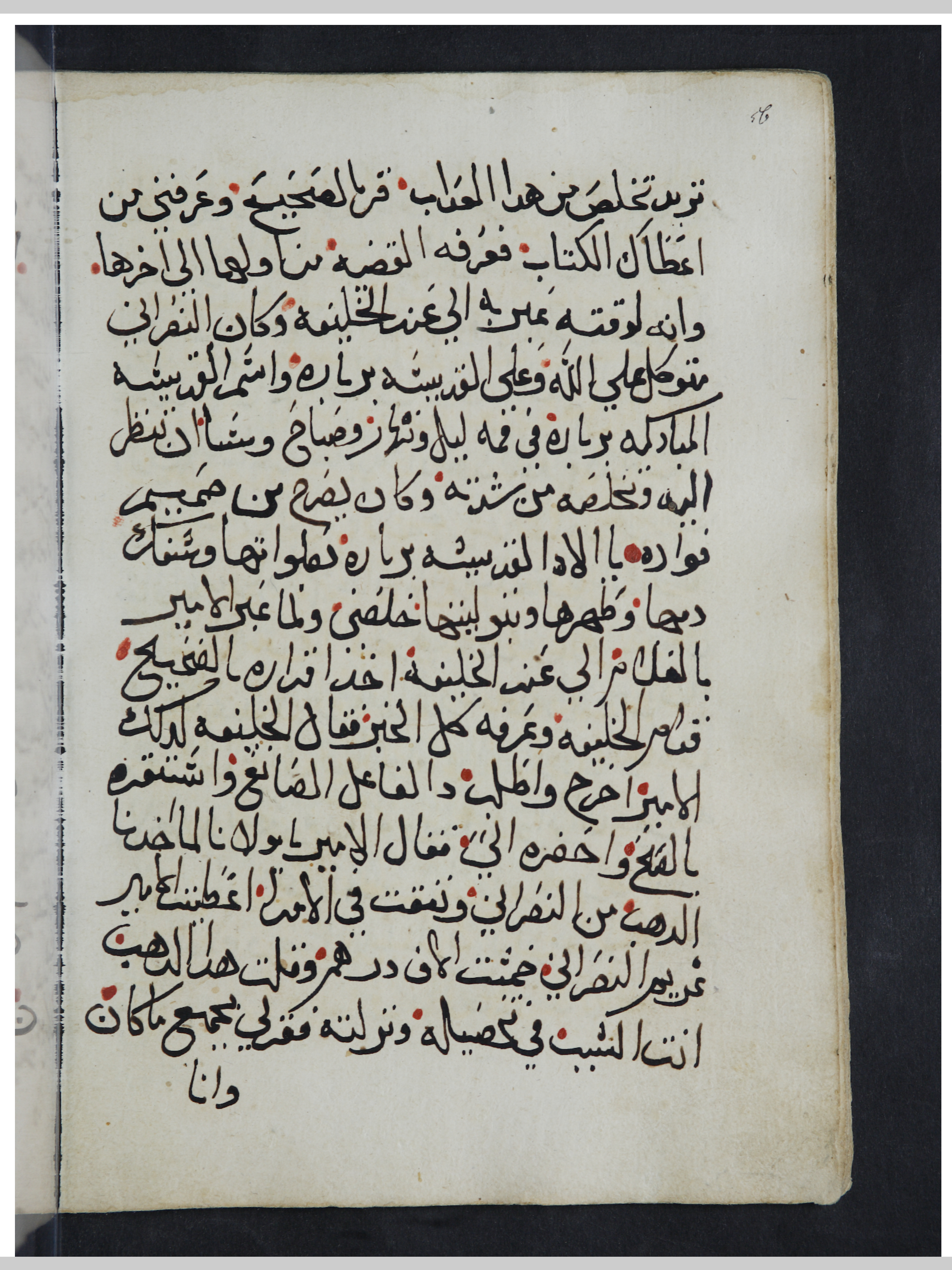
57

وشبي حريمه ونهب امواله والمسلم المذكور يبطن ان
جميع ما يعمله مع الذمي من المكروه له فيه اجر ومثوبه
لانه عدوه في الدين وذلك الذمي بري من جميع
ما نسب اليه وعرضه نقي نظيف ابيض مثل الشمس
عرفنا يا خليفة الله في ارضه هل يجوز للمسلم ان
يتسبب في هلاك النصراني من غير ذنب افتنا في
هذا رحمة الله عليك وعلى ابائك واجدادك الطيبين
الطاهرين الى يوم الدين امين قال فلما قرا الخليفه
الفتوه كتب على ظهرها لا يجوز للمسلم ان يتعدا على
الذمي وان يتعدا عليه بغير حق ولا ذنب ناخذ حق
الله تعالى من المسلم لان الذمة النصاري واليهود
تحت دماهم الاسلام وفي حماهم لانهم يزنوا الجزيه
فمن تعدا على احد لذمه اخذنا حق الله منه والسلام
فلما صار خط يد الخليفه مع الامير فرح به وشاله
في اخر يطته وخرج على ان يشنق النصراني لان
الخليفه



68

الخليفه رسم بشنقه كما تقدم القول ولا امكن الامير
ان يحابي عن النصراني بنشب في هذا للغرض وانه لو قتله
طلب النصراني وطلب الغلام وقال للنصراني هذا غلامك
يا كلب فقال نعم يا مولاي وان ما اقسم بالله العظيم
الذي لا يخفا عنه خافيه ان هذا الغلام قد نفيته
من منزلي من مدة ايام لانه يجرو زنا في احد جواري
فقال الامير للغلام كانه ما يعرف الخبز ويلك ولما
خرجت من عند هذا النصراني عند من رحت فقال
يا مولانا عند الامير شمس الدوله فامر الامير ان
يرموا الغلام على قفاه ويضربوا له اربعة اوتاد في
الارض ويشبحوه بيديه ورجليه وامر ان يحضر اليه
قطعة قار اعني زفت وقار وامر الامير ان يكشف
بطن الغلام ويضع عليها نار والقار ففعلوا كما امرهم
وصار يصرخ ويستغيث فلا يغاث فقال له الامير



٥٤

نريد تخلص من هذا العذاب فربالصحيح وعرفني من
اعطاك الكتاب فعرفه القصة من اولها الى اخرها
وانه لوقته يمضي الى عند الخليفه وكان النصراني
متوكل على الله وعلى القديسه بربارة واسم القديسه
المباركه بربارة في فمه ليلا ونهار وصباح ومسا ان تنظر
اليه وتخلصه من شدته وكان يصيح من صميم
فواده يا الاه القديسه بربارة بصلواتها وشفاعة
دمها وطهرها ودم ابنها خلصني ولما عبر الامير
بالملك الى عند الخليفه اخذ انداره القبيح
فناصر الخليفه وعرفه كل الخبر فقال الخليفه لذلك
الامير اخرج واطلب ذا الفاعل الصانع واستقدمه
بالقبح واحضره الي فقال الامير يا مولانا لما اخذنا
الذهب من النصراني ونقعت في الامر اعطنا الامير
غريم النصراني خمسة الاف درهم وقلت هذا الذهب
انت السبب في تحصيله ونزلته فقال لي بجمع ما كان
وانا



69

وانا انت له قلبك قليل وهو واقع على راسه وحسده
الذي يغلي في فواده من هذا النصراني هو الذي يقتله
وان الخليفة قال للامين ولماذا ما قلت لي بهذا
الخبر في وقته فقال يا مولانا كنا في بيكار وخشينا
من فتنة من الامرا اذ كان العدو يحصل له المنا
والغرض منا ويشتد نظام الاسلام مما كان لي
اوثق من الشكاك ورميت الكرامة في راس النصراني
لان به ولا بالامانة اكابر الاسلام فقال الخليفة
لذلك يا امين فما المشورة عندك في هذه النوبة
المشكلة فقال يا مولانا يد الله على قلب ملوك
مهما خطه الله في مملكتك اعماله فان العدو
قد انهزم من قدامك وما بقي قدامنا لمولانا
الخليفة انشا الله تعالى عدو فما عمل الحاجب
واشتكى النصراني قريب منك اكثر مما كان فان
الله قد انقا عرضه وازال تهمته وبان الحق

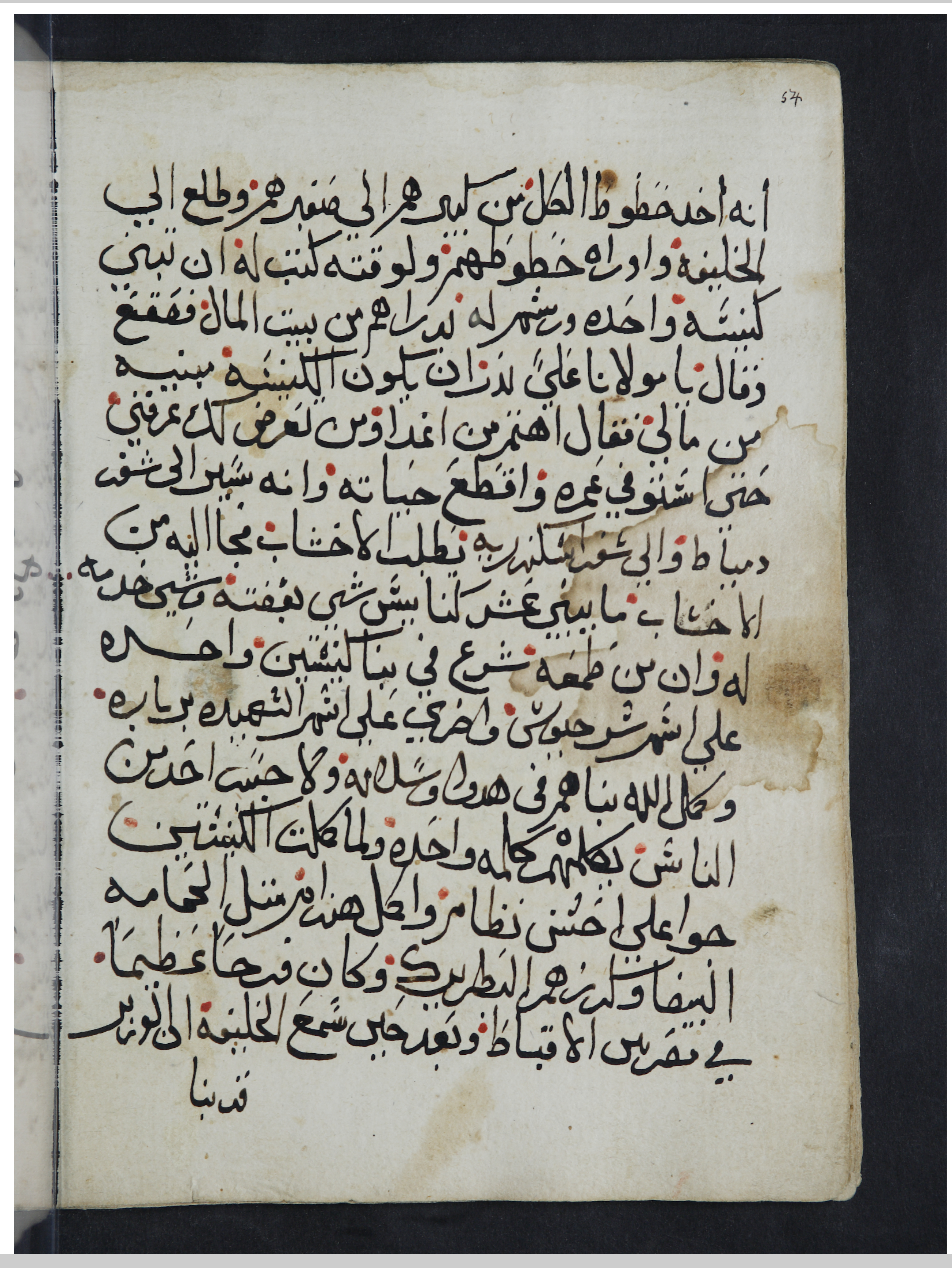


من الباطل وان الخليفه امر من وقته وساعته لشنق
الغلام وللوقت شنقوه وامر هكذا ان كل شي كان
يعمل بالنصراني يعمل بالابير الحاسد من حيث لا يشنق
ولا يشنق له دم لانه لم يجاسر على الاسلام وان ما
جاره كان على النصراني فلم توجب الحكام عليه موت
الا التبيد والحبس واخذ امواله فوضعوه في مركب وسيروه
نفيد الى الحبس تحت الارض ورفعوا كل امواله الى
خزانة الاسلام واعطوا منه اوفا نصيب لزوجته
واولاده وكتبوا حجته مخافه لم يكن له خلاص
الى الموت واما من النصراني فان الخليفه رسم ان
يعادا اليه امواله فاشار عليه ذلك الابير المحب ان لا
يلتمس منه درهم وعرفه بما يعتمده فلما رسم الخليفه
فاعادت امواله اليه دخل الى عنده وقبل الارض
وقال يا مولانا من مالك قد تركت وكلما انا فيه
من نعمتك وحصل لي من جاهك وعندي كثير
من



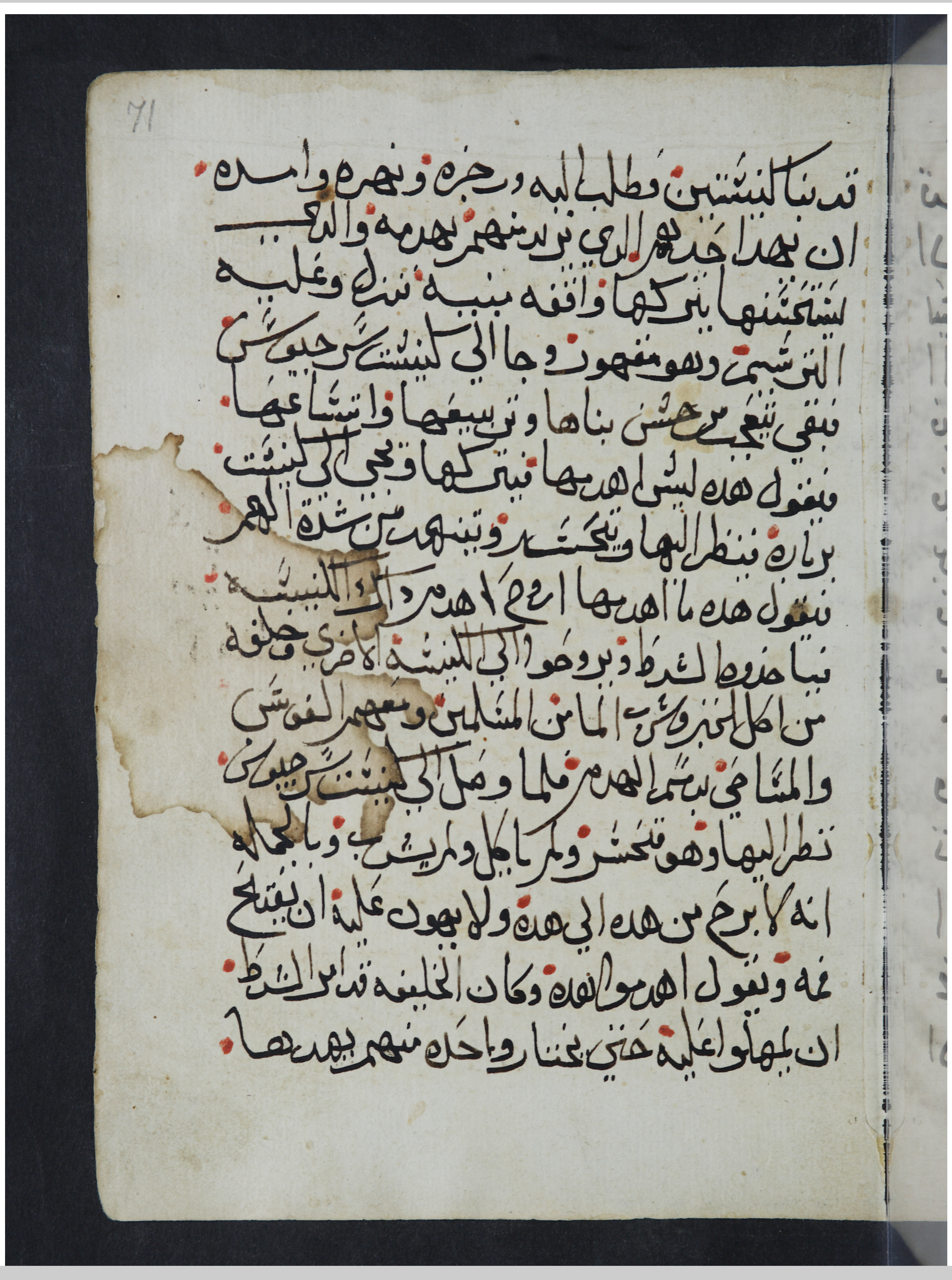
70

من انعامك وصدقاتك ما لا استحقه فدهش له الخليفة
وقال له اجعلنا في حل فضحك له وقبل الارض بين يديه
وخدمه وان الخليفة قال له تمنا على شهوة اقضيها
لك وحاجة تكون لك بي فقال له يا مولانا اشتهيت على
صدقاتك شهوة وما هي لشي قال له قول ما اردت وتمنا
ما تشتهي فانه لك مني بلا مانع فقال يا مولانا اقصدي
ابني كنيسة عند بيتي فان عمايلتي تتعد عليهم الكنيسة
وكل ما توجهوا الكنيسة يشوشون عليهم صغار المسلمين
ويشتموهم فقال له الخليفة هذا هين انزل خذ خط الحكام
وتعال الى عندي لان خطهم يرفع شر الاعاجم والمتعدين
وبينما خطهم معك مثل السيف القاطع ويكون هذا الكتب
انا خطي فوق خط الحكام ومن تعرض لك قطعت رقبته
نزل من عنده فرحان مسرور ولم يروح الى منزله
بل توجه الى بعض الحكام واعطاه شي من الرشوة واخذ
خطه وعمل مع كل الحكام هكذي منهم من الضعفة انصاف
كثير ولم ياخذ منه شي ومنهم من اخذ منه وكتب له فحاله



57

انه اخذ خطوط الكل من كبيرهم الى صغيرهم وطلع الى
الخليفة واوراه خطوطهم ولوقته كتب له ان تبني
كنيسة واحده وشهر له الدراهم من بيت المال فوقع
وقال يا مولانا علي الله ان يكون الكنيسة مبنيه
من مالي فقال اهيم من اعداوين لعرض لك عرفني
حتى اشنوفي عمره وانقطع حياته وانه سير الى شوف
دمياط والى شوف اسكندريه نطلب الاخشاب مجاليه من
الاخشاب ما بقي عش لنا بش شي نعمته وشي خدمه
له وان من طمعه شرع في بنا الكنيستين واحده
علي اسم شر حيوس واخري علي اسم الشهيد برباره
وكمل الله بناهم في هدوا وسلامه ولا حس احد من
الناس بكلمه كلمه واحده ولما كملت الكنيستين
حوا على احسن نظام والعمل هنه امر بتل الحمامه
النفاوكر هم البطريرك وكان فرحا عظيما
في مصر بين الاقباط وبعد حين سمع الخليفه ان الوزير
قد بنا

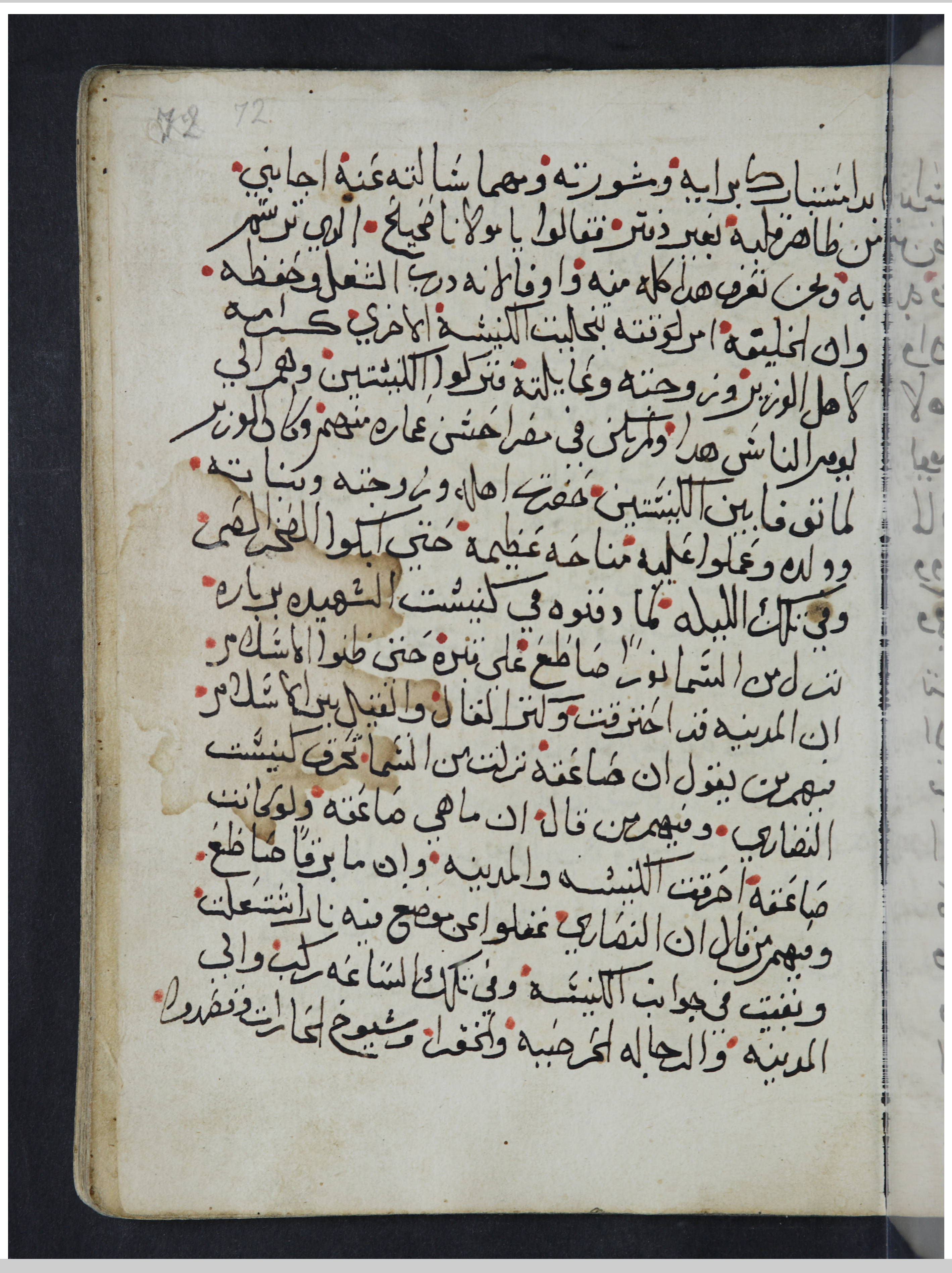


71

تدرنا لبنتين وطلب ابيه وحرجه ونهره وامسك
ان يهدا حدهم الذي يريد منهم يهدمه والذي
ليشكتنهما يتركها وانفه بنبه نسك وغلبه
الى شيمى وهو منهوت وجا الى لبنيتين حيوس
تبقى تنعجب من حسن بناها وترسيعها واتساعها
ويقول هذه ليش لا هدمها نتركها ويجي الى لبنت
برابه ينظر اليها ويتحسر ويتنهد من شدة الهم
ويقول هذه ما اهدمها اعطي اهد مرداك البنيه
نيا حدود لشده ويروحوا الى البنيه الاخرى وخلفه
من اهل الخبز وشرب الما من المسلمين ومعهم الفوش
والمشاعي ثم اليهم ملما وصل الى لبنت حيوس
نظر اليها وهو يتحسر ولم ياكل ولم يشرب وبالجمله
انه لا برح من هذه الى هذه ولا يهون عليه ان يفتح
فمه ويقول اهدموا هذه وكان الخليفه قد امر الشرط
ان يهدموا عليه حتى يختار واحده منهم يهدمها

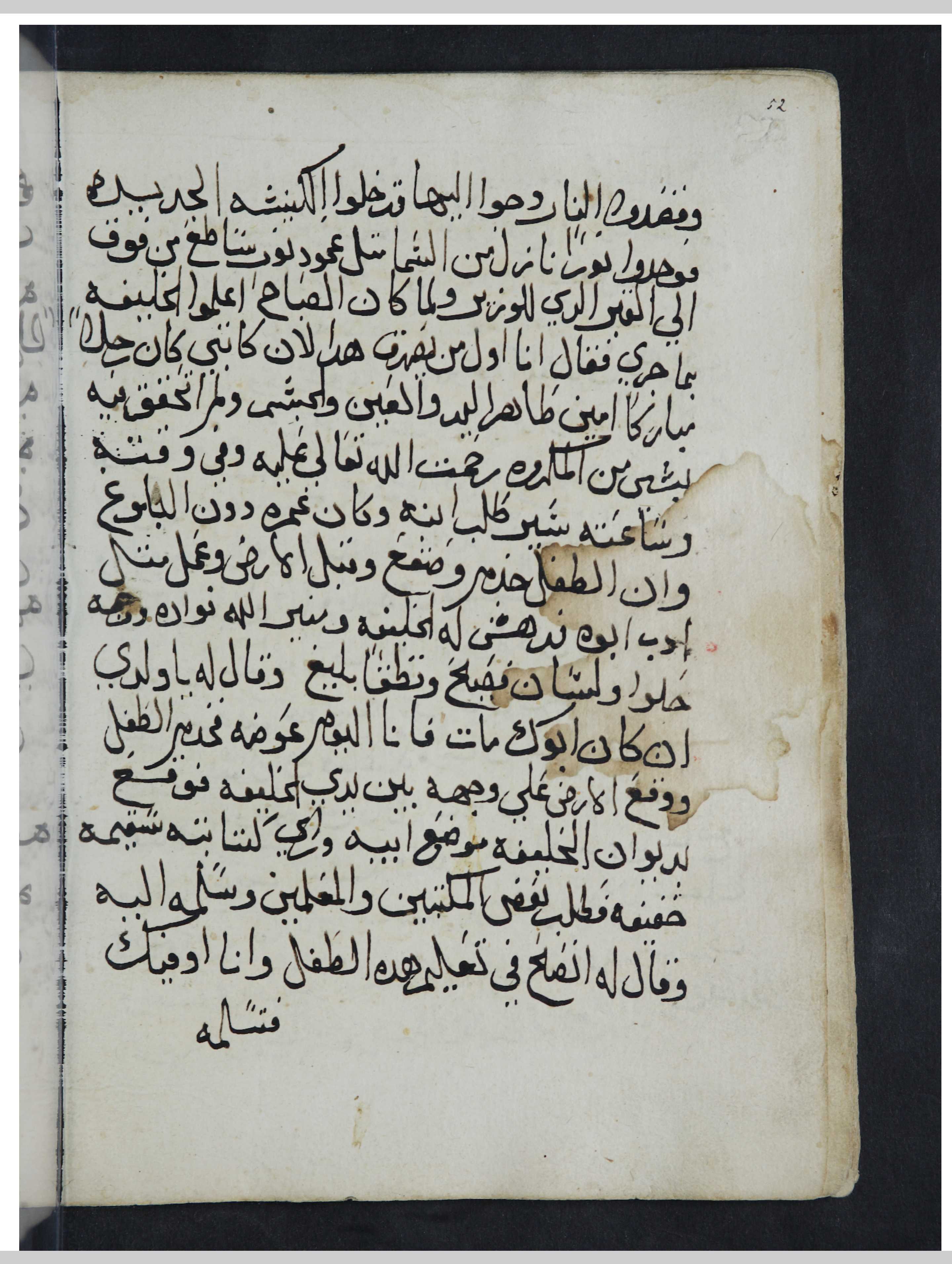


فلذلك صبروا عليه فان من الضيق والحسرة والغم العظيم
والقهر والعطش والمشي بين الكنيستين وشماتت الاعدا
انقطعت مرارته وحشي بالموت فما شعر مع حايط ما بين
الكنيستين ويحلق عيناه وبلع بصره واشار للناس ان يسقوه
قليل ما فجابوا له الما وجدوه قد مات فيح الله نفسه وللوقت
طلعوا الى عند الخليفه واعلموه بموت الوزير فعز عليه وعظم عنده
وحط المنديل على وجهه وبكا بكا مر وغمي عليه من شدة حزنه
عليه وقال من الان مات اموري الى النقص والخسارة فقامت
الغلظا والامرا وقبلوا الارض قدامه وقالوا الله يا مولانا في
امورك حسبك الله في الناس الذي منه وا وما وقد مات
الانبيا مع كمال درجتهم والملوك والخلفا والاكاسرة
والجبابرة ولم تقتنوا الدنيا قط لهم فسح الله في اجل
مولانا الخليفة الله في ارضه انت الذي بعد ملك الوقت
ونبقي لك في الوجود لاجل انك من السلالة المحمدية
وانتم نفر قليل منكم من ينتقل له الوقت لكن الله تعالى
وهناك بما اعطاك بتربيت اباك واجدادك الماضين
زيل ما عندك واشرح صدرك ونفسك وابسط املك
فقال لهم والله يا امرا كان نعم الوزير ونعم المشير وكنت
ابدا



72

بالاستبداد برايه ومشورته ومهما سالته عنه اجابني
من ظاهر قلبه بغير دنس فقالوا يا مولانا صحيح الذي تشهد
به ونحن نعرف هذا كله منه وانما قالوا انه درب الشغل وحفظه
وان الخليفة امر لوقته بتخليت الكنيسة الاخري كما امر
لاهل الوزير وزوجته وعايلته فتركوا الكنيستين وهم الى
يوم الناس هذا ولم يكن في مصر احسن عمارة منهم وكان الوزير
لما توفا بين الكنيستين حضر اهله وزوجته وبناته
وولده وعملوا عليه مناحة عظيمة حتى ابكوا الحجر الصم
وفي تلك الليله لما دفنوه في كنيست الشهيد برباره
نزل من السما نور صاطع على قبره حتى ظنوا الا شك من
ان المدينه قد احترقت ولكن العاقل والقليل بين الا شك من
فيهم من يقول ان صاعقه نزلت من السما تحرق كنيست
النصارى وفيهم من قال ان ما هي صاعقه ولو كانت
صاعقه احرقت الكنيسه والمدينه وان ما برقا صاطع
وفيهم من قال ان النصارى عملوا في موضع فيه نار اشتعلت
وبقيت في جوانب الكنيسه وفي تلك الساعه ركب والي
المدينه والحجابه الحرصيه والحكام ومشايخ الحارات وتفقدوا



52

ونفدوا البنات دخلوا اليها قد خلوا الكنيسه الجديده
فوجدوا نورا نازل من السما مثل عمود نور ساطع من فوق
الي القبر الذي للوزير ولما كان الصباح اعلموا الخليفه
بما جري فقال انا اول من يعرف هذا لان كان نبي كان رجل
مبارك امين طاهر اليد والعين والجسم ولم يخفي به
شي من المكاره رحمت الله تعالي عليه وفي وقته
وساعته شيع طلب ابنه وكان عمره دون البلوغ
وان الطفل حضر وخضع وقبل الارض وعمل مثل
ادب ابوه تدهش له الخليفه وسبح الله نواره ووجهه
حلو ولسان فصيح ونطقا بليغ وقال له يا ولدي
ان كان ابوك مات فانا اليوم عوضه فخير الطفل
ووقع الارض علي وجهه بين يدي الخليفه فوقع
لديوان الخليفه موضع ابيه واكي لنا بنه شيمه
خفيفه وطلب بعض المكتبين والمعلمين وسلمه اليه
وقال له اصلح في تعليم هذه الطفل وانا اوفيك
فتسلمه



73

تسلمه واجتهد في تعليمه وكان الطفل حاذق نبيه
فهيم ذكي نشيط ولاسيما قد طمع لمكان ابيه
وفي دون السنة تعلم اصول الحساب والخط
الجيد العربي مع اصول النحو وكمله الله سبحانه
وتعالى بكل فن مليح ولكن في شغل ابوه وصار
يصرف صدقات كثيره على قبر ابوه ويعمل للكنيسه
زياره ثلاث اعياد في كل سنه والى يومنا الناس
هذه تركات الكنيسه بزياره ثلاث دفوع كل سنه
يعملوه اولاد اولاده تركات الا ينقطع ابدا من بينهم
وفي ليلت السابع من كانون عيد القديسه
الشهيره بربارة تجتمع في هذه الكنيسه
كل جنس اولاد قباط النسا الذين يحضروا الفاهده
حتى ترتج المدينه من كثرة الشمع واهل الاسلام
يحضروا بطريق الفرجه ويظهر من حسنها عجايب



٥٦

وغرايب بين الاسلام • وبعض المسلمين يجوا في السر يرغوا وجوههم
على جسدها الطاهر ويطلبوا بركته من زيت المتبل
واكثرهم لهم فيها امانه عظيمه • ويسموا بناتهم على
اسمها • ولا يبالوا باحدا • ونصف نسوان ديار مصر اكثرهم
برباره • ولا ينكروا احدا عليهم • وصارت عاده بين الاسلام
يسموا بناتهم بهذه الاسم • بركاتها وصلواتها وتسلايها
يكون معنا ومع مولانا المهتم بكتب هذه السيره • الرب
يعوضه ويباركه • ويعطيه افخر العطايا • في الدنيا
والاخره • ويحفظه بصلاوات الست الطاهره • المكرمه برباره
والست المباركه زوجته • واولاده • ولابويهم الله
يكرمه طول ايام حياتهم • امين امين امين
ثم وكمل

سيرت المكرمه الوزير المبارك
موزه بسلام من الرب
امين

وكان